علم النفس العيادي والعلاج النفسي -المحاضرة "1"

مقدمة:

ان التحليل النفسي هو فن علمي لأنه التمس اعماق النفس الإنسانية وتعرف على مقاومات المتعالج وتحويلاته وبهذا فانه يخضع لأساليب التقصي العلمي.

ان الميدان المميز في عمل التحليل النفسي هو ميدان المقاومة والتحويل، بحيث يسعى فيها المحلل النفسي الى ان يجعل ما هو غير شعوري شعوريا وابراز الذكريات المكبوتة وتجاوز فقدان ذكريات الطفولة.

ولهذا فان التحليل النفسي هو عباره عن نوع من أنواع العلاجات النفسية الموجودة في علم النفس العيادي، ومنه وجب ان نعرج اولا لمعرفه ما هو علم النفس العيادي وكيف تكون العلاقة العلاجية بين المعالج والمتعالج.

ماهو علم النفس العيادي؟

لقد كان اول من استخدم مصطلح علم النفس العيادي أو الاكلينيكي هو العالم فونت Wundt بألمانيا، وكذلك ويتمر Witmer1896 الذي أشار به الى اجراءات التقييم والتشخيص والعلاج المتبعة مع الاطفال المتخلفين عقليا، وتعد هذه اول محاولة لتحديد مفهوم علم النفس الاكلينيكي كرحلة علمية تطورية شهدت نموا سريعا في الميدان النفسي. حيث قدم تخصصه الجديد إلى جمعية علم النفس الأمريكية APA، باستخدام تعبيرات "علم النفس السريري والطريقة السريرية" إلا أن تأثيره كان ضعيفا فقط، في عام 1919 فقط، افتتحت الجمعية الأمريكية لعلم النفس قسما سريريا يضم علماء نفس سريرين مكلفين بدراسة الحالات الفردية والمساهمة في التشخيص، وإجراءات التقييمات، والعلاجات الفردية أو الجماعية.

وفي سنة 1975 وضعت جمعية علم النفس القواعد الاساسية لتدريب المختصين في العلاج النفسي داخل المجتمع Community psychology، هدفها من ذلك خدمة المجتمع وتقديم خدمة نفسية له.

ولقد عرف Lagache علم النفس الاكلينيكي بأنه "العلم الذي يبحث في الصراعات التي لم يجد الفرد حلا لها، أي يختص بدراسة الحالات الفردية السريرية التي تعاني من صراعات داخلية نتجت عن موقف معاش".

كما يعرفه لاجاش "Lagache" أيضا سنة 1949، على أنه "المنهج الذي يتناول السيرة الذاتية في منظورها الخاص، للتعرف على مواقف وتصرفات الفرد اتجاه وضعيات معينة، يسعى بذلك لإعطائها معنى لها للتعرف على بنيتها، كما يكشف عن الصراعات التي تحركها ومحاولات الفرد لحلها".

وبذلك فإن علم النفس العيادي كفرع من فروع علم النفس التطبيقي مفاده محاولة فهم الخصوصية الفردية والتوظيف النفسي للشخص، نأخذ بعين الاعتبار نموذج الشخص الخاص بعلاقاته مع الاخرين، خياله، عواطفه، وكذلك توظيفه المعرفي. أيضا سيره وتوظيفه الحالي، وكذا اختلال توظيفه وردود افعاله اثناء موقف معين.

العلاج النفسي والعلاقة العلاجية (المعالج والمتعالج):

إن العلاج النفسي هو "تلك العمليات والاجراءات التي يقوم بها الاخصائي النفساني بقصد اعاده تكييف الفرد مع نفسه ومحيطه الاجتماعي" ويكون باستخدام المناهج العلمية والتشخيص الموضوعي أن يعتمد على التقنين والموضوعية.

ويحدث دائما في العلاقة العلاجية أن تظهر ما يسميها تحليل النفسي بالتحويل (النقلة) والتحويل المضاد، هذا ما يجعل عمل الاخصائي صعب وخطير على شخصيته ويصبح من الصعب التحكم في علاقة المساعدة. ولضمان الحياة السوية للأخصائي النفساني، وضمان تفاديه لوضعية الخطر على نفسه وعلى الآخرين، وجب منه أثناء العلاج النفسي أن يدفع بالمتعالج الى "السير قدما معا" الى أن يصل به لمستوى من الاستقلالية، دون أن يشكل هذا خطرا على الطرفين.

ولهذا علينا التخلي عن الوضعية العظامية والمثالية في العلاج، فهما أعداء نجاح العلاج النفسي وتطوره نحو الاحسن.

إذا فالعلاقة العلاجية ليست علاقة أحادية الطرف او خاصة فقط بالمتعالج بل هي علاقة تشاركية خطية تعاونية على العلاج النفسي والوصول به الى صحة نفسية جيدة.

إن جوهر العملية العلاجية هو "الاصغاء"، وهذا ما يعتمد عليه أساسا العلاج النفسي الذي يرتكز على الاصغاء وليس على "الفهم" أي المرور من وضعية معقلنة أساسها الفهم إلى وضعية "الاصغاء" قريبة من المفهوم الفرويدي المسمى "الانتباه العائم" l'attention flottante، وقد توصل من خلال عمله" العيادي" الى

أن العمل النفسي مع العملاء لا يرتكز فقط على العين "الملاحظة" والعقل" التحليل" لكنه يرتكز على الأذن الإصغاء والتي تعاش كأم حاوية، التي تحمل بكل المعاني، ولدها حتى يصل إلى الاستقلالية نسبيا"

يمكن ان نشير في النهاية الى نقطة مهمة وهي المواصفات الجيدة للمعالج والتي تخلق جو من الثقة التي يحتاجها المتعالج في علاجه النفسي. وهي:

- المواصفات الشكلية والتي نقصد بها اللباس المحترم وغير المثير اذ انه وجب ان يوجد في شكل الأخصائي النفساني رمزا لحياة معتدلة.
- المواصفات الاخلاقية وتكون من خلال احترام سرية معلومات العميل واحترام العميل في حد ذاته وعدم السخرية منه واطلاق الاحكام المسبقة عليه.

  حتى اثناء دراسة الحالة كدراسة علمية في بحث علمي لا يجب وصفها بتفاصيلها الى ان تشير الى هويه العميل.
- المواصفات المعرفية والتي تتطلب من الاخصائي النفساني الثقافة النفسية العيادية في مجاله كما وجب عليه تبادل الخبرات ودراسة الحالات التي تمر عليه ومشكلاتها مع الزملاء الاخصائيين.

بالإضافة لكل ما سبق نشير الى أن الثقة المتبادلة بين المعالج والمتعالج مع مراعاة عامل الزمان والمكان من خلال احترام موعد الجلسة، كذلك تقبل العميل كما هو، عدم إفشاء أسراره، واحترام شخصه من خلال أخذ موافقته في القرارات العلاجية التي تخصه، والنظر إليه نظرة إنسانية. كل هذا يزيد من نجاح العلاقة العلاجية وتطور سيرورة العلاج النفسي نحو الأحسن.